قُصُور بَغْداد ودُورُها في العَصْرْ العَبّاسِي

خلال المدة (٢٢١ــ٥٣٩هــ/٨٣٦ــ١١٤٣م)

الدكتور/ عبد الكريم عبده حتاملة

جامعة مؤتة ــ قسم التاريخ

مؤتة ــ الكرك ــ الأردن

تعريف :

تهدف هذه الدراسة المتعلقة بقصور بغداد ودورها في العصر العباسي خلال المدة (٢٢١ــ٥٣٩هــ/٨٣٦ــ١١٤٣م) إلى:

ــ معرفة ما شهدت به بغداد وغيرها من المدن الإسلامية الأخرى أيام ازدهار الحضارة العربية الإسلامية ونضوجها، بعدد كبير من القصور والبنايات الرائعة، والمتميزة بزخرفتها وروعتها .

ــ إبراز أهم الأبنية العمرانية التي أنجزت في تلك المدة ، والمتمثلة في طراز بناء : الحيري والكمين، الجعفرية، لؤلؤة، القصر الحسني، قصر الثريا، الفردوس (الخلد) قصر التاج، الدار المعزية وغيرها

المقدمة :

يعد فن العمارة في العصر العباسي من أكثر الفنون علاقة وارتباطاً في البيئة وتأثيراً بها، ورغبة في ملاءمتها وحسن الإفادة من موادها المناسبة وتلبية للمتطلبات النفعية والجمالية لسكانها .

فقد استخدم الفنانون والصنّاع التقنيات المختلفة للمنشآت العمرانية والتي ورثوها من التجارب والممارسة المهنية ومن الخبرات الفنية التي أبدعتها أجيالهم، فابتكروا بدورهم قوالب ونماذج جميلة أسهمت جدياً في تجميل وتزيين روائع الفنون التطبيقية،بأجمل الزخارف المختلفة الجذابة، ونظراً لأهمية المادة المستخدمة في المنشآت العمرانية، فقد أدرك الفنانون والصناع أهمية المادة في إبداعهم، فاستخدموا مختلف المواد المتوفرة في بيئتهم والتي كان من أهمها : اللبن والآجر والجص والحجر .

ومن هنا عني العباسيون عناية تامة في الفن المعماري، فبنوا المدن التي امتلأت بالقصور والمساجد والمتنزهات والدور والأبنية المتنوعة والتي كان يتسابق في بنائها الخلفاء والأمراء وألاثرياء ويتفننون في زخرفتها .

وتزايد الاهتمام والرغبة في إبداع الفن العمراني، واتخاذها أحد مظاهر التفوق الحضاري بالإضافة إلى ظهور التفاعل الفني والجمالي الناتج عن اتصال الصناع والمهرة من العاملين في مناسبات كثيرة مثل الحج ورحلات القوافل التجارية وغيرها .

ونتيجة لهذا النضوج والإبداع في المنشآت العمرانية في العصر العباسي فقد كثر هذا الفن في بغداد، وغيرها من أمهات البلدان الإسلامية، وذلك أيام ازدهار الحضارة العربية الإسلامية، وأقيمت المدن التي امتلأت بالقصور الشامخة، والدور الفخمة، والعمارات الواسعة .

فأولع الخلفاء العباسيون والأمراء والوزراء وغيرهم من كبار رجال الدولة ببناء القصور الفخمة المحلاة بالرسوم والزخارف من الداخل والخارج وعليها صور من الجص المجسم ثم زخارف القاشاني المختلفة الأنواع والأشكال .

كما كانت طبقاها مغطاة بستور من الديباج مزينة بالرسوم الفارسية التي كانت من مميزات الفن الفارسي، حيث يظهر جلياً التأثير الفارسي في الفن الإسلامي عظيماً في هذا البلد،

ومن الملاحظ أن الفن العمراني في هذه المدة والتي اتخذها لكتابة هذا البحث المتواضع لم تلق نصيباً من البحث والتحليل، وإن وجدت لم تكن بصورة متكاملة و لم تتناول المنشآت العمرانية في العصور العباسية بشكل يعطيها حقها ويمكن الباحثين والقراء من الاطلاع على المعالم العمرانية آنذاك، نظراً لما لتلك

الفترة من تأثير واضح في النماذج العمرانية والتي تركت طابعاً عمرانياً مؤثراً في الحقب والفترات الزمنية المتعاقبة .

ومن قبل الإنصاف أحسست بنفسي كباحث أنه لابد لي أن أتطرق إلى وافي هذه الفترة حقها تاريخياً وذلك من خلال التطرق إلى الطرز والمنشآت العمرانية الباهرة التي أنشئت أيام الخلفاء العباسيين في تلك المدة الزمنية والتغيرات التي طرات عليها، إضافة إلى الخلفاء والوزراء والحكام والأثرياء الذين شيدوها وبنوها آنذاك .

الخليفة المعتصم بالله (٢١٨-٢٢٧هـ/٨٣٣-٨٤٢م) :

عُرِفَ عن الخليفة العباسي المعتصم حبه وولعه بالعمارة،ومن أقواله باستصلاح الأراضي وحبه للعمارة : " إن فيها أموراً محمودة، فأولها عمران الأرض التي يحيا بها العالم، وعليها يزكو الخراج، وتكثر الأموال، وتعيش البهائم، وترخص الأسعار، ويكثر الكسب، ويشع المعاش "[1] .

يفهم من هذا النص أن الخليفة المعتصم لم يقصد منه الكلام عن الفن المعماري الإسلامي، بل قصد منه استصلاح الأراضي وزراعتها، بدليل أن النص يوضح القصد من العمارة وهي عمران الأراضي، أي استصلاحها وزراعتها، لأن الخراج وهي ضريبة فرضت على الأرض الزراعية، تكثر بعمرانها أي تكثر بوفرة إنتاج الأرض من المحاصيل الزراعية، كما تعيش عليه البهائم، ومن كثرة الإنتاج سترخص الأسعار ويكثر الكسب . ويؤكد ما ذهبنا إليه من العبارة التالية للنص المنقول من المسعودي توضح فيها المقصود من النص

---

١١) المسعودي (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م) : أبو الحسن علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، المجلد الثاني (بيروت : دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص٤٣٤ .

" وكان يقول لوزيره محمد بن عبد الملك : إذا وجدت موضعاً حتى أنفقت فيه عشرة دراهم جاءني بعد سنة أحد عشر درهما فلا تؤامرني فيه "[1] .

ومن أهـم إنشاءاته العمرانية مدينة سامراء : فقد بناها سنة (٢٢١هـ/ ٨٣٦م) وهي تبعد حوالي (١٢٠) كم شمالي بغداد، وجعلها عاصمة للدولة العباسية، وبقيت مركزاً للخلفاء العباسيين حتى سنة (٢٧٩هـ/٨٩٢م) وقد تميزت سامراء في هذه الفترة بكثرة الزخارف التي وجدت بالقصور الفخمة، والتي كانت تنبئ عن ميلاد فن جديد بدأت ملامحه تتخذ طابعاً إسلامياً خاصاً .

ويرى الأعظمي أن هذه الزخارف التي كشفتها الحفريات الأثرية في أطلال سامراء كانت على ثلاثة طرز وهي : الطراز الأول والثاني والثالث تبعاً لخصائص كل واحد منها من حيث طريقة صنع زخارفه وعناصرها التي تتكون منها .

فالطراز الأول : كان يمتاز باستعمال طريقة الحفر العميق في أعمال الزخارف، كما امتاز بالدقة في تمثيل الزخارف وقد استعمل في هذا الطراز عنصر رئيسي هو العنب الذي رسمت أغصانه وأوراقه وعناقيده بشكل قريب للطبيعة.

الطراز الثاني : بدأت العناصر والأشكال السابقة تتطور تدريجياً وتبتعد عن الطبيعة شيئاً فشيئاً فبدأت فصوص الورقة بالاضمحلال حتى زالت .

أما الطراز الثالث : فيمتاز باستعمال طريقة الحفر المائل (المشطوف في صنع الزخارف، كما استغني عن العناصر السابقة بعنصر جديد هو المروحة النخيلية والتي تنوعت أشكالها، وتكونت منها أشكال مركبة متناظرة، كان لها أثر كبير في نشوء زخرفة التوريق العربي)[2] .

---

(١) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٢)خالد خليل حمودي الأعظمي، الزخارف الجدارية في آثار بغداد · (بغداد : دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠م) ص٣٠-٣١ .

الخليفة العباسي المتوكل على الله (٢٣٢-٢٤٧هـ /٨٤٧-٨٦١م):

ومن أهم قصور ودور بغداد : ما قام به الخليفة العباسي المتوكل على الله ببناء عظيم الشأن، عرف بالحيري والكمين، والحيري منسوب إلى الحيرة المدينة العربية المشهورة (١). وقد أسهب المسعودي في البناء الحيري بقوله : "وأحدث المتوكل في أيامه بناء لم يكن الناس يعرفونه وهو المعروف بالحيري والكمين والأروقة، وذلك أن بعض سماره حدثه في بعض الليالي أن بعض ملوك الحيرة من النعمانية من بني نصر أحدث بنياناً في دار قراره، وهي الحيرة، على صورة الحرب وهيئتها للهجه بها وميله نحوها لئلا يغيب عنه ذكرها في سائر أحواله " (٢).

واستطرد قائلا:"فكان الرواق فيه مجلس الملك وهو الصدر والكمان ميمنة وميسرة ويكون في البيتين الذين هما الكمان من يقرب منه من خواصه، وفي اليمين منهما خزانة الكسوة، وفي الشمال ما احتيج إليه من الشراب والرواق قد عم فضاؤه الصدر، والكمين والأبواب الثلاثة على الرواق فسمى هذا البنيان إلى هذا الوقت بالحيري والكمين، إضافة إلى الحيرة واتبع الناس المتوكل في ذلك ائتماماً بفعله" (٣).

ويرى ميخائيل عواد أن العرب أجادوا في وصف هذا البناء أحسن الإجادة، ولقد صدقوا في قولهم إن الحيرى بكمين .هو مثال عسكر روماني ذاهب إلى الحرب بجناحين ميمنة وميسرة (٤).

---

(١) ميخائيل عواد، صور مشرقة من حضارة بغداد في العصر العباسي . (بغداد : دار الرشيد للنشر، ١٩٨١م) ص٧ .

(٢) المسعودي، مروج الذهب، المجلد الثاني، ص٤٧٠.

(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٤) عواد، صور مشرقة، ص٨ نقلا عن مقالة للآثاري الدكتور هرتسفلد في مجلة لغة العرب (بغداد : ١٩١٢م) ص٥١٦ــ٥١٧

ومن الأبنية المعمارية التي بناها الخليفة العباسي المتوكل مدينة الجعفرية سنة (٢٤٥هـ / ٨٥٩م) في مكان قريب من مدينة سامراء شمالا، والتي بلغ فيها الفن المعماري أقصى دراجات الرقي، وبنى قصره الذي سماه الجعفري نسبة إليه، وشجع الأمراء والقواد وغيرهم على البناء، كذلك أمر المتوكل بنقض قَصْري المختار والبديع بسامراء، وحمل ما فيهما من خشب الساج لاستعماله في بناء قصره الجديد [١] ،وهذا ما أكده الطبري في قوله : "أمر المتوكل ببناء الماحوزة وسماها الجعفري، وأقطع القواد وأصحابه فيها، وجدّ في بنائها وتحول إلى المحمدية ليتم أمر الماحوزة، وأمر بنقض القصر المختار والبديع وحمل ساجهما إلى الجعفري وأنفق عليها فيما قيل أكثر من ألفى ألف دينار " [٢] كما بنى المتوكل في مدينة الجعفري قصراً أخر سماه "لؤلؤة"، وامتاز بارتفاع بنائه وهذا ما أكده الطبري بقوله : "وبنى فيها قصراً سماه لؤلؤة لم يُر مثله في علوه" [٣] .

وأمر الخليفة أيضاً بحفر نهر يأخذ ماءه من دجلة ويصل إلى هذه المدينة عرف باسم جبة دجلة، وأنفق على شق هذه الترعة مائتي ألف دينار، وكان يقوم بحفرها "اثنا عشر ألف رجل يعملون فيه" [٤] .

وقد أوكل العمل فيه إلى دليل بن يعقوب النصراني كاتب بغا "فلم يزل يعتمل فيه ويحمل المال بعد المال ويقسم عامته في الكتاب حتى قتل فبطل النهر

---

(١) (الطبري (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م) : ابو جعفر محمد بن جرير . تاريخ الامم والملوك، جـ١١ (بيروت: مطبعة خياط لا .ت)ص٥٦ .

(٢) المصدر نفسه ص٥٦ .

(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

واخربت الجعفرية ونقضت و لم يتم أمر النهر " [١] وبلغت تكاليف الأبنية في زمن المتوكل كما ذكرها صالح العلي "مائتين واربعة وتسعين مليون درهم" [٢].

وذكر أيضاً أن تكاليف القصور في بغداد في العهود العباسية الأولى كانت أقل من تكاليف قصور المتوكل وذلك بسبب رخص الأسعار وبسبب تبذيره للأموال وقلة تدقيقه .

ويعلق الشابشتي على هذا الإنفاق بقوله: إن المتوكل كان "من أرباب الذوق والأنس لا يقصده عما يشتهيه مال، وقد انصرف انصرافاً عجيباً إلى بناء قصور فخمة في سامراء كثر عددها حتى بلغت تسعة عشر قصراً، أنفق في سبيلها أموالا جساماً تكاد تخرج عن حدود التصديق" [٣] .

الخليفة المعتمد على الله (٢٥٦-٢٧٩هـ/٨٧٠-٨٩٢م) :

وبعد أن تولى المعتمد الخلافة، صار القصر الحسني من أحب البقاع إليه، علماً بأن القصر الحسني بناه جعفر بن يحيى البرمكي في أيام هارون الرشيد "١٧٠ــ١٩٣هــ/٨٧٦ــ-٨٠٩م"، فكان يسمى القصر الجعفري [٤] .

---

(١)المصدر نفسه ٥٦-٥٧ .

(٢)صالح أحمد العلي، معالم بغداد الإدارية والعمرانية، (بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة ١٩٨٨م) ص ٢١ نقلا عن ياقوت .

(٣) الشابشتي (ت ٣٨٨هــ/٩٩٨م) : أبو الحسن علي بن محمد .
الديارات، تحقيق كوركيس عواد (بغداد : ١٩٦٦م) ص ٣٦٤ .

(٤) ابن تغري بردي (ت٨٧٤هــ/١٤٦٩م) : أبو المحاسن جمال الدين يوسف .
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جــ٣، (القاهرة : ١٣٤٨ــ١٣٧٥هــ/١٩٢٩ــ١٩٥٥م)ص٨٤ .

ثم انتقل إلى الخليفة المأمون (١٩٨ــ٢١٨هــ/٨١٣ــ٨٢٣م) فعرف بقصر المأموني، ثم تزوج المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل (١) فوهبه له وكتبه باسمه فكان يقال له القصر الحسني (٢).

ويذكر ياقوت أن القصر: "كان أحب المواضع إلى المأمون وأشهاها لديه، فاقتطع جملة من البرية عملها ميداناً لركض الخيل واللعب بالصوالجة وصيداً لجميع الوحوش، وفتح له بابا شرقياً إلى جانب البرية، وأجرى فيه نهراً ساقه من نهر المعلى " (٣).

وفي خلافة المعتمد صار القصر الحسني من أحب البقاع إليه، وكان يتردد بينه وبين سامراء فيقيم هنا تارة وهناك تارة أخرى حتى توفي سنة (٢٧٩هــ/ ٨٩٢م) وحمل إلى سامراء ودفن فيها (٤).

---

(١) الحسن بن سهل وزير المأمون العباسي، أحد كبار القادة والولاة في عصره توفي سنة ٢٣٦هــ .
انظر ترجمته في :
ابن الجوزي (ت ٥٩٧هــ/١٢٠١م) : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد .
المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، جــ١١ (تحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا (بيروت : دار الكتب العلمية ١٤١٣هــ/١٩٩٣م) ص٢٣٩ــ٢٤٠.

(٢) البغدادي (ت٤٦٣ هــ/١٠٧١م) : أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي .
تاريخ بغداد أو مدينة السلام، المجلد الاول (بيروت : دار الكتاب العربي لا.ت)ص٩٩ .

(٣)ياقوت (ت٦٢٦ هــ/١٢٩٩م): شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي .
معجم البلدان، جــ٢ تحقيق فريد عبد العزيز الجندي (بيروت : دار الكتب العلمية ١٤١٠هــ/ ١٩٩٠م)ص٣ــ٤.

(٤)الآلوسي (ت١٣٤٢هــ/١٩٢٤م) : محمود شكري الآلوسي أخبار بغداد وما جاورها من البلاد . (بغداد : مخطوطة موجودة في المكتبة المركزية تحت رقم ،(٢٣٤٥٩٠) ص٣٥، كذلك انظر أحمد سوسة، ري سامراء في عهد الخلافة العباسية، جــ٢ (بغداد : ١٩٤٩م)ص٣٦٩.

الخليفة المعتضد العباسي أحمد بن الموفق(٢٧٩ــ٢٨٩هــ/٨٩٢ــ٩٠٢م) :

وعندما تولى المعتضد الخلافة في سنة (٢٧٩هــ/٨٩٢م) نقل العاصمة من سامراء إلى بغداد، فلما عادت الخلافة إلى بغداد، استقر الخليفة المعتضد في القصر الحسني والذي بقي مقاماً للخلفاء حتى سنة (٦٥٦هــ/١٢٥٨م) .

هذا وقد أضيفت للقصر الحسني قصور وأبنية محددة العدد، ذات خصائص عمرانية وحضارية واجتماعية ثم أحيطت بسور يميزها عن غيرها .

وقد ذكر لسترنج أن سور بغداد الشرقية الجديد "يضم قسماً من محلة المخرم العتيقة، وَبْدؤه من ضفة النهر فوق القصور، وانتهاؤه في ضفة النهر تحتها " [١] .

ولعل بقاء الخلافة مستقرة في بغداد بعد رجوعها من سامراء : يعود لاسباب أهمها[٢] :

ــ انحصار الخلافة في نسل أفراد معينين، فقد ولي الخلافة في هذا العهد ثلاثة من أولاد المعتضد (المكتفي، المقتدر، القاهر) واثنان من أولاد المستظهر (المسترشد، المقتفي). أما الباقون فكان كل منهم يعقب أباه في الخلافة .

ــ تناقص الموارد المالية للخلفاء حيث إنها لم تعد تكفي لبناء قصور جديدة تتخذ دورا للخلافة .

---

(١)كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس، كوركيس عواد .
(بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هــ/١٩٨٥م) ص ٥١ حيث ذكر أن هذا السور بناه الخليفة المستظهر سنة (٤٤٨هــ/١٠٩٥م) ولكنه يعد ما شيده المسترشد بالله سنة ٥١٧هــ/نقلا عن ابن الجوزي حوادث سنة ٥١٧هــ .

(٢)صالح أحمد العلي، معالم بغداد، ص٥٥ .

ــ ولادة معظم الخلفاء من أمهات غير عربيات لم يكن لهن أقارب في بغداد . من كل ما سبق نلاحظ تلاشي المشاكل التي قد تحدث من تبدل الأسر وشح الموارد الاقتصادية، وهذا مما أدى أخيراً إلى استقرار الخلافة في بغداد لمدة طويلة .

وبهذه الفترة، فقد نشطت في بغداد وفي الجانب الشرقي منها حركة العمران وبناء القصور الشاهقة والضخمة . ومن أشهر الإنجازات العمرانية التي قام بها المعتضد : قصر الثريا (١) والذي يقع على نهر موسى حيث اتخذه مقرا له قبل أن يبني التاج ويبدو أنه جعل الدواوين في الثريا (٢) . وهذا ما أكده الصابي بقوله :

"عن أبي القاسم ابن الزنجي الذي يروي عن ابن عمه أبي الطيب أحمد بن إسماعيل الذي قال : " مضيت في يوم من الأيام على الرسم إلى الديوان بالثريا" (٣) .

وبقي هذا القصر حتى سنة (٤٦٦هـ/١٠٧٣م) حيث انفجرت المسناة (٤) التي تحت القورج وغمرت المياه حتى " أغرقت جانباً كبيراً من بغداد، حتى خلص ذلك إلى دار الخلافة" (٥) .

---

(١)الشابشتي، الديارات، ص١٩. البغدادي، تارخ بغداد، المجلد الأول، ص٩٩ . ابن الجوزي، المنتظم، جـ١٢ ص٣٣٥ .

(٢)صالح العلي، معالم بغداد، ص٣١.

(٣) (الصابي (ت ٤٤٨هـ/١٠٥٦/) :هلال بن المحسن .

تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج (القاهرة :دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٨م)ص١٠٦/٢٠٤.

(٤)المسناة :بضم الميم وفتح السين وتشديد النون يليها ألف فهاء منقوطة وهي عبارة عن بناء حافظ للقصر من الماء عواد، صور مشرقة، ص١٢.

(٥)ابن كثير (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م) :عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر .

وقد بلغت تكاليف البناء التي أنفقها المعتضد على قصره الثريا استناداً إلى رواية المسعودي (أربعمائة ألف دينار) [1] وكان طول قصره المعروف بالثريا ثلاثة فراسخ [2] وقد ذكر ابن الجوزي أن المعتضد كان يحب قصره الثريا ويمدحه بقوله :

" أنا على سريري، أخاطب وزيري، وصيد البر والبحر يصاد بين يدي" [3].

وفي جوار القصر الحسني في مكان يقع فوقه حيث يصب نهر المعلى في دجلة .

بنى المعتضد الخلد (الفردوس)، حيث كان قديما دير الراهب، ويمتاز هذا المكان بجوه اللطيف وقلة البق [4] .

وقد ذكر السيوطي أنه كان في بساتين هذا القصر بحيرة يأتيها الماء من فرع صغير لنهر موسى عند المعتصم قرب ماء المخرم وقد غرم المعتضد على عمارة .

البحيرة ستين ألف دينار " وكان يخلو فيها مع جواريه وفيهن محبوبته "دريرة " [5] .

= البداية والنهاية، جـ٢١، (بيروت :دار الكتب العلمية ١٤١٨هـ/١٩٩٧م)ص٩٧.

(١)المسعودي، مروج الذهب، المجلد الثاني، ص٥٩٨، صالح العلي، معالم بغداد، ص٢١.

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

أما الفرسخ :فيتألف من ثلاثة أميال، كل ميل ألف باع، وكل باع أربعة أذرع شرعية، أي أن طول الفرسخ كان حوالي (٦) كم، أي أن طول القصر سيكون (١٨)كم ويبدو أن هذا الرقم مبالغ فيه وربما يكون مع ضمن الأرض الواقعة حول القصر، فالتر هانتس، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري . ترجمة الدكتور كامل العسلي (عمان : الجامعة الأردنية)ص٩٤.

(٣)ابن الجوزي : المنتظم، جـ١٢، ص٦٣٣(حوادث سنة ٢٨٠هـ)

(٤) الآلوسي، اخبار بغداد، (مخطوطة)، ص٣٨.

(٥)السيوطي (ت٩١١ هـ/١٠٥٦م) : جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر .

تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (القاهرة : ١٣٨١هـ/١٩٦١م) ص٣٧٢.

كذلك وضع المعتضد أساسات قصر التاج [1] ، زيادة على قصري الفردوس والثريا، في موضع يقع على نهر دجلة بالقرب من القصر الحسني، وفيما بعد أصبح أهم مركز رسمي للخلفاء . وقد ذكر البغدادي أن الخليفة المكتفي بالله (٢٨٩ـ ٢٩٥هـ/٩٠٢ـ٩٠٨م) قام بعده " ببناء التاج على دجلة وعمل وراءه من القباب والمجالس ما تناهى في توسعته وتعليته". [2]

ولا ننسى أيضاً ما قام به المعتضد سنة ٢٨٠هـ/٨٩٣م "ببناء مطامير في قصر الحسني، رسمها هو للصناع، فبنيت محكمة، وجعلها محابس الأعداء" [3] .حيث خصص في ميزانيته "ألف وخمسمائة دينار لنفقات السجون وثمن أقوات المحبوسين ومائهم وسائر مؤنهم" [4] ولا ننسى أيضاً ما قام به الخليفة من إنشاء أبنية ملكية فخمة، في منطقة براز الروز [5] في كورة ديالي حيث أمر "أن يبنى له قصر فوق الشماسية، فابتيع ما للناس هناك من الدور ومات قبل أن يتم البناء [6].

---

(١)ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ٢، ص٨٤.

عبد الكريم عبده حتاملة، خلافة المعتضد بالله، ص١١٨.

(٢)البغدادي، تاريخ بغداد، المجلد الأول، ص٩٩.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، جـ١٢، ص٣٣٦ كذلك انظر المسعودي حيث قال : "واتخذ المطامير، وجعل فيها صنوف العذاب، وجعل عليها نجاح الحرمي المتولي لعذاب الناس " المسعودي، مروج الذهب، المجلد الثاني، ص٥٩٨.

عبد الكريم عبده حتاملة، خلافة المعتضد بالله، ص١١٨.

(٤)آدم متز، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، جـ٢ نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريده، أعد فهارسه رفعت البدراوي (القاهرة : مكتبة الخانجي، بيروت دار الكتاب العربي،١٩٦٧م) ص٢٠١ نقلا عن كتاب الوزراء، ص٢١.

(٥)براز الروز : تعرف بلدة براز الروز الان ببلدة الروز أو (بلد روز) وهي في شمال شرقي بلدة النهروان، وبلد روز اليوم بلدة على نهر روز من الفروع اليسرى لنهر ديالي وهي مركز ناحية باسمها تابعة إلى قضاء مندلي، قيل اسمها مركب من براز الروز وأصله الفارسي براز ـ روز (روز= نهر براز =خترير) فيكون معناه النهر الخترير . وقيل في تفسير معناه (ضياء النهار) أو بهاء النهار انظر : لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص ٨٦.

(٦) ابن الجوزي، المنتظم، ص٣٣٦.

الخليفة المكتفي بالله (٢٨٩ـ٢٩٥هـ/٩٠٢ـ٩٠٨م) :

ومن أهم إنجازاته العمرانية : المسجد الجامع الواقع في الجانب الشرقي من القصر الحسني أحد قصور دار الخلافة فاطلق عليه جامع الخليفة وهو متصل بداره وقد ذكره ابن جبير : "بأنه جامع كبير وفيه سقايات عظيمة ومرافق كثيرة كاملة، مرافق الوضوء والطهور " (١).

وكان هذا الجامع من المساجد الجامعة المهمة في بغداد، حيث أصبح ثالث جامع في بغداد الشرقية بعد جامع السلطان وجامع الرصافة . كما نجد أن الخليفة المكتفي ينفق سبعمائة ألف دينار من أموال المسلمين على أبنية له (٢) وفي سنة (٣٣٤هـ/٩٤٦م)خضعت بغداد للسيطرة البويهية، وأصبحت الخلافة العباسية من الناحية السياسية تعاني كثيراً من الضعف والانحلال وبالرغم من كل هذه المعاناة إلا أن الحركة البنيانية استمرت في بغداد في نشاطها وتقدمها .

الخليفة المطيع بالله (٣٣٤ـ٣٦٢هـ/٩٤٦ـ٩٧٤م) :

أما الخليفة المطيع بالله فقد شجع حركة العمران ومن أهم إنجازاته في هذا المجال : بناء دار الطواويس والدار المربعة والدار المثمنة (٣).

ومن المنشآت العمرانية الهامة ببغداد، والتي بنيت على طراز الحيري والكمين دار أبي القاسم علي بن أفلح ، وقد عاش أيام الخليفة العباسي المسترشد بالله (٥١٢ـ٥٢٩هـ/١١١٨ـ١١٣٥م) وكان شاعراً مجيداً " وقد خلع عليه المسترشد ولقبه جمال الملك، وأعطاه أربعة دور، وكانت له دار إلى جانبهن،

---

(١) ابن جبير (ت٦١٤هـ/١٢١٧م) : أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي.

رحلة ابن جبير (بيروت :دار صادر للطباعة والنشر، ١٣٨٤هـ١٩٦٤م)ص٢٠٤.

(٢) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٣٧٧.

(٣)ياقوت، معجم البلدان، جـ٤ ص١٠ـ١٢(طبعة مصر، مطبعة السعادة ١٩٠٦م).

فهدمهن كلهن، واتخذ مكانهن داراً هائلة طولها ستون ذراعاً في عرض أربعين ذراعا". [١] وقد غرم عليها عشرين ألف دينار، وقيل ألف ألف دينار، وقد موهت بالذهب وعملت فيها الصور [٢] . وفيها الحمام العجيب، فيه بيت مستراح فيه أداة تسمى البيثيون [٣] ، إن فركه الإنسان يميناً خرج الماء حاراً وان فركه شمالاً خرج بارداً [٤] ومن شعره الذي طلب أن يكتب على أبواب داره :

ان أعجب الراؤون من ظـــاهري	فباطـــــني لو علمـــــوا اعجـــب
شـــد الابـــاني من كفـــه مزنة	يخجـــل منهـــا العـــارض العيـــب
رنحـــت روضـــة أخـــلاقـــه	و في ديـــار نـــورهـــا مـــذهـــب
صدر كـــسا صدري من نوره	شـــــمســـاً على الأيـــام لا تغـــرب

وكان على الطراز مكتوب [٥] :

ومـــن المـــــروءة للفتـــى	ما عـــــــــاش دار فـــاخـــرة

(١) ابن الجوزي، المنتظم، جـ١٧، ص٣٣٨ــ ٣٤١، ابن كثير . البداية والنهاية، جـ١٢، ص ١٩٣ــ١٩٤.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، جـ١٧، ص٣٣٨.

(٣) البيثيون : هو البزال الذي يعمل من أنبوبة تثقب ثقبا وتركب في الثقب أنبوبة أخرى، منتصبة تدار فيه للفتح والسد والأنبوبة المركبة في الاناء تسمى الأنثى، والأنبوبة المركبة في ثقب الأنبوبة تسمى الذكر والكلمة من اليونانية .

الخوارزمي (ت٣٨٧هـ/٩٩٧م) : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف، مفاتيح العلوم) القاهرة : لا . ت)ص٢٥٢ــ٢٥٣.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، جـ١٧، ص٣٣٨، ابن كثير . البداية ، جـ١٢، ص١٩٣.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، جـ١٧، ص٣٣٨ــ٣٣٩.

عند ابن كثير باترة : من بتر أي قطع . ابن كثير . البداية ، جـ١٢، ص١٩٣.

فـــاقنع من الـــدنيـــا بهـــا واعـــــمـــل لــــدار الآخـــــرة

هاتيـــك وافـــيـــة بمـــا وعـــدت وهــــذه ســـاحـــرة

و لم تستمر العلاقة طيبة بينهما بل اتهمه بأنه يكاتب دبيساً [1] فأمر بخراب داره تلك، فلم يبق فيها جدار، بل صارت خربة بعدما كانت قرة العيون من أحسن المقام والقرار [2] أورد ابن الجوزي سبب الاتهام بأنه " كان في المسجد الذي يحاذي دار السماك رجل يقال له مكي يصلي بالناس ويقرئ القرآن، فكان إذا جاء رسول دبيس، أقام عند ذلك الإمام بزي الفقراء، فاطلع على ذلك بواب ابن أفلح ... فمضى واطلع صاحب الشرطة على ذلك فمضى فكبس المسجد وأخذ الجاسوس،وهرب ابن أفلح وإمام المسجد، وأمر المسترشد بنقض داره [3] ولكن الخليفة عفا عنه، حيث قبل وساطة بهروز الخادم صاحب تكريت [4]، وقد أورد ابن الجوزي له أشعاراً حسنة منها [5].

دع الهوى لا ناس يعرفـــون بـــه قـــد مارسوا الحب حتى منه أصعبه

بلوت نفسك فيما لست تخـــبره والشيء صعـــب على من لا يجربه

---

(١)دبيس بن صدقة : (٤٠٨ــ٤٧٤هــ/١٠١٧ــ١٠٨١م)

وهو نور الدولة أبو العز دبيس بن سيف الدولة أبو الحسن صدقة، أمير عربي، حاكم الحلة من الأسر المزيدية .

هبة الله الحلي (عاش في النصف الثاني من القرن الخامس، والنصف الأول من القرن السادس الهجري) المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية، جــ٢، تحقيق صالح درادكة، محمد خريسات (عمان : مكتبة الرسالة الحديثة، ١٩٨٤م) ص١٩ــ٢٠، ابن كثير . البداية ، جــ١٢، ص٦

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، جــ١٧، ص٣٣٨، ابن كثير . البداية ، جــ١٢، ص١٩٣.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، جــ١٧، ص٣٣٨.

(٤) المصدر نفسه، ص٣٣٨ــ ٣٣٩.

(٥) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

أمن اصطبار وإن لم تستطع خلدا فــرب مدرك أمر عز مطــلبــه
احني الضلوع على قلب يحــيرني في كـــل يـــوم ويعييني تــقلــبه
تناوح الريح من نجـــد يهيجـــه ولامع الـــبرق من نغمات يطـــربه

ومن روعة العمران دار ابن جردة [١] والذي يعد من ذوي الثروة والمروءة، وكان أصله من عكبرا فسكن بغداد، وقدر ماله بثلاثمائة دينار " وهو الذي دفع إلى قريش بن بدران عند مجيئه مع البساسيري عشرة آلاف دينار، حتى حمى داره من النهب، وكان فيها خاتون خديجة زوجة القائم" [٢].

واستطرد ابن الجوزي في وصف الدار الواقعة بباب المراتب والتي يضرب بها المثل بقوله : " وكانت تشمل على ثلاثين داراً وعلى بستان وحمام، ولها بابان على كل باب مسجد، إذا أذن في أحدهما لم يسمع الأخر " [٣].

ولا ننسى أيضاً دار الوزير ابن مقلة [٤]، صاحب الخط الحسن المشهور، وقد بنى له داراً أثناء وزارته على شاطئ دجلة، فقد غرم عليها مالاً كثيراً يقدر بمئة ألف دينار، وقيل بألفي ألف دينار، كما ألحق بها بستاناً كبيراً جعله بيوتاً

---

(١) ابن جرده هو محمد بن أحمد بن الحسن، أبو عبد الله بن جرده أحد الرؤساء في بغداد ايام الخليفة القائم بأمر الله (٤٧٦هـ/١٠٨٣م) له ترجمة في ابن الجوزي، المنتظم، جـ١٦ص٢٣٢.
ابن كثير، البداية والنهاية، جـ١٢، ص١١٢ـ١١٣، حيث ورد اسمه هكذا بن احمد بن الحسين بن جراده .

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، جـ١٦، ص٣٣٢ـ٣٣٣.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٣٣، ابن كثير، البداية ،جـ١٢، ص١١٢.

(٤) ابن مقله: هو محمد بن علي بن عبد الله أبو علي المعروف بابن مقله استوزره المقتدر والقاهر والراضي . انظر ترجمته في:
ابن الجوزي / المنتظم ،جـ١٣، ص٣٩٢ـ٣٩٤. ابن كثير، البداية، جـ١١، ص١٦٤ـ١٦٥.

تأوي إليه الطيور والتي لا تفرخ إلا في الشجر على شاكلة : القماري [١]، والدباسي [٢]،والنوبيات [٣] والشحارير [٤]، والزرياب [٥]، والهزار [٦]، والفواخت [٧] وغيرها من الطيور التي جيء بها من أقاصي البلاد .

---

(١) القماري : طائر يشبه الحمام القمر البيض، وقال ابن سيده القمرية، وضرب من الحمام صغير، وقال الجوهري القمري منسوب الى طير قمر، وقمر إما أن يكون جمع أقمر وإما أن يكون جمع قمري، والأنثى من القماري قمرية والذكر ساق . حر والجمع قماري وقمر انظر : كوكب ديب دياب، قاموس الحيوان (عربي عربي))طرابلس : جروس برس، ١٩٩٥م) ص٤٠٥.

(٢) الدباسي : جمع الدبس، ضرب من الحمام، جاء على لفظ المنسوب وليس بمنسوب وقيل هو منسوب الى طير دبس، وقيل هو طائر صغير، ويقال هو ذكر اليمام وهذا النوع قسم من الحمام البري . قال الجاحظ عن صاحب المنطق، يقال في الحمام الوحشي من القماري والفواخت، وما أشبه ذلك دباسي ولا يعرف للدبس وكر .كوكب ديب، قاموس الحيوان، ص٤٨٤.

(٣) النوبيات : جمع نوب، النحل، وسميت بذلك لأنها ترعى وتنوب إلى مكانها أو لأنها تضرب إلى السواد، وقيل فمن جعلها مشبهة بالنوب (السودان) لأنها تضرب إلى السواد فلا واحد لها، ومن سماها بذلك لأنها ترعى ثم تنوب إلى خليلتها، فواحدها نائب . كوكب ديب، قاموس الحيوان، ص٤٨٤.

(٤) الشحارير : جمع شحرور، طائر أسود، فوق العصفور، حسن الصوت، وقيل هو البلبل، وهو أنواع عديدة، تختلف في الوانها واحجامها من تأثير المناطق التي تعيش فيها .

شاكر هادي شكر، الحيوان في الأدب العربي، (بيروت : مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب، ١٩٨٥م) ص١٩٥.

(٥) الزرياب : قيل هو أبو زريق، وهو طائر ملون الريش، فيه زرقة وسواد وبياض، كثير الصياح، وهو ألوف للناس يقبل التعلم دياب، قاموس الحيوان، ص٢٢٣.

(٦) الهزار : العندليب أو البلبل وهو الهزار (دستان بالفارسية) .

الجاحظ (ت ٢٥٤هـ/٨٦٨م) : أبو عثمان عمرو بن بحر الحيوان، جـ٥ تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون (بيروت : دار الجيل، ١٩٩٢م) ص٢٨٩.

(٧) الفواخت : انظر هامش رقم (٦٥) الدباسي.

ويحدثنا ابن الجوزي " بأن طائراً بحرياً وقع على طائر بري فازدوجا وباضا، وأفقسا، فأعطى من بشره بذلك مائة دينار ببشارته " [(١)] كذلك اختار مكاناً مناسباً من ذلك البستان، فوضع فيه الطيور التي لا تطير لكبر جسمها مثل الطواويس والبط، كما جعل من خلف البستان :

" الغزلان والبقر البدوية والنعام والإبل وحمير الوحش " [(٢)] .

ومن روعة المنشآت العمرانية في بغداد : الدار المعزية [(٣)] التي بناها أبو الحسين أحمد معز الدولة البويهي (٣٢٠ــ٣٥٦هــ/٩٣٢ــ٩٦٧م) في الجانب الشرقي بجوار باب الشماسية سنة (٣٥٠هــ/٩٦١م) . والشماسية كانت تقوم في أعلى الأعظمية في البقعة المعروفة اليوم بالصليخ ويخبرنا المؤرخ مسكويه أن نفقات هذه الدار بلغت رقماً لا يصدقه العقل وهي ما يقارب ثلاثة عشر ألف ألف درهم [(٤)] ، فاحتاج لذلك أن يصادر بعض أصحابه، وقد خرب أشياء كثيرة من معالم الخلفاء ببغداد في بنائها وكان مما خرب (المعشوق من سر من رأى وقلع الأبواب الحديد التي على مدينة المنصور والرصافة وقصورها، وحولها إلى داره هذه [(٥)] .

ويذكر ابن كثير أن سبب بنائه لهذه الدار هو ما أصابه من المرض " انحصار البول "، فنصحه أطباؤه وأصدقاؤه أن يبني داراً في مكان صحي، وأن ما

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، جــ١٣، ص٣٩٥.

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها . عواد، صور مشرقة، ص١٠ــ١١.

(٣) الدار المعزية :كوركيس عواد، الدار المعزية من أشهر مباني بغداد في القرن الرابع للهجرة، مجلة سومر ١٠، جــ٢ (بغداد : ١٩٥٤م) ص١٩٧ــ٢١٧، ميخائيل عواد، صور، ص١١.

(٤) مسكويه : (ت ٤٢١هــ/١٠٣٠م) : أبو علي أحمد بن محمد .

تجارب الأمم، جــ٦ (القاهرة : مطبعة شركة التمدن الإسلامي، ١٩١٥م) ص١٨٣.

(٥) المصدر نفسه والصفحة نفسها . ابن كثير، البداية، جــ١١، ص٢٠٠.

أصابه من المرض كان بسبب هواء بغداد ومائها، فوقع الاختيار على البقعة التي بالشماسية وهو موقع جيد وصحي ومناسب فيه بساتين وأشجار ونخيل [1].

وقد أحضر معز الدولة مهرة البنائين من جميع البلدان الكبار في ذلك الوقت من الموصل والأهواز، وبلدان الجبل، وغيرها وقد حفر لداره أساساً نيفاً وثلاثين ذراعاً حيث " نزل سفلا من الأرض بالنورة والأجر، إلى أن ارتفع فوق الأرض بأذرع " [2]. وتساوي أكثر من ١٥ متراً بمقاييس وقتنا [3].

وفي سنة (٣٣٦هـ/٩٤٧م) جدد معز الدولة مشهد الإمامين موسى الكاظم ومحمد الجواد وهي من المشاهد الشيعية وفي سنة (٤٥٠هـ/١٠٥٨م) قام الملك الرحيم أبو النصر الملك الرحيم (٤٤٠-٤٤٧هـ/١٠٤٨-١٠٥٥م) بتجديد بناء هذا المشهد، فأصبح له سور جديد يحيط به وقبة وبهو واسع من جهة الجنوب، كذلك أقيم في جانبه مسجد ومئذنة [4].

ومن الملاحظ عن الحركة العمرانية في العهد البويهي أيضاً هو اهتمامهم بعمل الأسوار وذلك لتجنب الغارات السلجوقية المتكررة على مدنهم التابعة لهم فمثلا أمر أبو كاليجار (٤١٥-٤٤٧هـ/١٠٢٤-١٠٥٥م) ببناء سور مدينة شيراز "فبني وأحكم بناؤه، وكانت دوره اثني عشر ألف ذراع وعرضها ثمانية أذرع وله أحد عشر بابـاً، وفرغ منه سنة ٤٤٠هـ " [5] كذلك كان عضد

(١) ابن كثير، البداية، جـ١١، ص٢٠٠.

(٢) مسكويه، تجارب الامم، جـ٦، ص١٨٣.

(٣) عواد، صور مشرقة، ص١١.

(٤) الأعظمي، الزخارف الجدارية، ص٣٤.

(٥) ابن الأثير، (ت٦٣٠ هـ/١٢٣٣م) : أبو الحسن علي بن أبي الأكرم ، الكامل في التاريخ، جـ٩ (بيروت : دار صادر، ١٩٧٩م) ص٥٢٦.

الدولة أبو شجاع (٣٦٧ـ٣٧٢هـ/٩٧٨ـ٩٨٣م) شغوفاً ومحباً للفن المعماري، وإليه يرجع الفضل في تعمير مدينة بغداد، بعد أن أصابها الخراب لمدة طويلة، ولم يكتف بذلك بل أعاد بناء كثير من مساجدها وأجرى الأرزاق على القائمين بها من المؤذنين والأئمة والقراء، وأعاد بناء ما تخرب من أرباض هذه المدينة، كما أمر أصحاب العمارات التي أصابها الخراب بإعادتها إلى ما كانت عليه بأحسن صورة [(١)]، وعمل أيضاً على تجميل الأحياء الواقعة على ضفتي نهر دجلة وأقام الميادين والمنتزهات، فامتلأت هذه الخرابات بالزهر والخضرة والعمارة، بعد أن كانت مأوى الكلاب ومطارح الجيف والأقذار.[(٢)] كذلك عمل على تجديد ما دثر من الأنهار واعادة حفرها، بعد أن أهملت زمناً طويلاً .

وهذا ما أكده الروذ راوري بقوله : "وعمل السكور وانفق فيها الأموال واعد عليها الآلات ووكل بها الرجال وألزمهم حفظها بالليل والنهار وراعى ذلك منهم أتم مراعاة في آونة المدود الجوراف وأزمنة الغيوث الهواطل وأوقات الرياح العواصف" [(٣)] .

---

(١)ابن كثير، البداية، جـ١١، ص٢٥٦.

(٢)مسكويه، تجارب الأمم، جـ٦، ص١٨٣.

(٣)الروذ راوري : الوزير أبو شجاع محمد بن الحسين .

ذيل كتاب تجارب الأمم، جـ٣، (يحتوي على حوادث (٢٥) سنة من ٣٦٩ـ٣٩٣هـ) (القاهرة : دار الكتاب الإسلامي لا. ت) ص٦٩.

وينسب إلى عضد الدولة المارستان العضدي [1] المشهور الذي أنشأه على الضفة الغربية لنهر دجلة في موضع قصر الخلد سنة (٣٦٩هـ/٩٧٩م)، والذي كان متهدماً في ذلك الوقت .

وقد ذكره المؤرخ ابن بطوطة بأنه كان قائماً حتى القرن الثامن الهجري يؤدي خدماته كالمعتاد " والمرستان فيما بين محلة باب البصرة ومحلة الشارع على الدجلة، وهو قصر كبير خرب وبقيت منه آثار" [2] .

ويرى الأعظمي أن الأبنية البغدادية في الغالب كانت ذات جدران مزخرفة بالطرق التي كانت شائعة قبل حكم البويهيين، كالزخارف الجصية مثلا ثم زخارف القاشاني المختلفة الأنواع والأشكال .

ومن الملاحظ أن مواد البناء التي استعملت في بعض الأبنية الأولى في بغداد كانت من اللبن،حيث استعمل في بناء أساس الأسوار وقد أكد ذلك المؤرخ ابن الجوزي بقوله : "ولبنها ذراع في ذراع ... ووزن الواحدة مائة وسبعة عشر رطلا " [3] .

أما استعمال الصخر في البناء فيبدو أنه كان نادر الاستعمال "ولم يذكر استعمال الصخر إلا في فرش الرحبة " [4] .

---

(١) ابن الأثير، الكامل، جـ٩ ص٢٢ حيث يذكر (وعمل المصالح في سائر البلاد كالبيمارستانات والقناطر وغير ذلك من المصالح العامة) ابن كثير، البداية، جـ١١، ص٢٥٦ . كذلك انظر : أحمد عيسى، تاريخ البيمارستانات في الإسلام (دمشق : المطبعة الهاشمية ١٣٥٧هـ/١٩٣٩م) ص ١٧٨-١٧٩.

(٢)حسين مؤنس، ابن بطوطة ورحلاته (تحقيق ودراسة وتحليل) (القاهرة : دار المعارف، ١٩٨٠م) ص٨٧ .

(٣)ابن الجوزي، المنتظم، جـ٨، ص٧٥.

(٤)صالح العلي، معالم بغداد، ص١٦.

واستعمل الجص في البناء وهو المصنوع من الكلس، وكان الجص يستورد من المناطق المجاورة، لأن منطقة بغداد، خالية من الكلس الذي يصنع منه الجص [١].

ويرى ميخائيل عواد أنه كان للجص الصدارة في ميدان الزخرفة والريادة فقـــد اتخذ في تزيين المساجد والقصور ومنازل العظماء وسراة القوم يوم ذلك [٢].

أما الآجر فقد كان متوفراً، وشائع الاستعمال في تلك الفترة، وكان شكله مربع الشكل، يبلغ طول ضلع ذي الحجم الكبير منه خمسة وثلاثين سنتمترا بين ثمانين وتسعة سنتمترات [٣].

فقد أحسن الصناع المهرة من العرب المسلمين في استعمال الآجر المصنوع من المواد المتوفرة في استعماله في العمارة والزخرفة، فجعلوا منه أقواس المباني الجميلة المختلفة وعناصرها الزخرفية الجذابة، ونظراً للدقة المتناهية والمهارة الفائقة التي امتازت بها زخارف القصر العباسي في قلعة بغداد، فقد خيّل لبعض العلماء أن تلك الزخارف صنعت من الجص حيث صبت بقوالب خاصة [٤] أما السقوف فقد كان أكثرها من الساج المذهب،كما ازدانت هذه الدار بروشن[٥] بديع يشرف على خارج الدار .

---

(١)المرجع نفسه، ص١٧.

(٢)ميخائيل عواد، صور، ص٢٧.

(٣)المرجع نفسه، ص١٢.

(٤)المرجع نفسه، ص٢٧.

(٥)الروشن : يجمع على الرواشن والرواشين ٠ منظرة تشرف عادة على خارج البيت وتعرف اليوم في بغداد بلفظة البالكون (عواد، صور، ص١٢).

وفيما يتعلق بخراب هذه المنشات العمرانية، فقد أخبرنا المؤرخ المقدسي أنه في أواخر القرن الرابع الهجري /العاشر الميلادي، كانت مدينة بغداد "خراب والجامع فيها يعمر في الجمع ثم يتخللها بعد ذلك الخراب " [1].

كذلك تحدث ابن الجوزي عن خراب مدينة بغداد بجانبها الغربي والشرقي والذي أصابها من جراء تكرار فيضان دجلة مرات عديدة، مما كان له سبب كبير في ندرة الآثار الباقية في هذه المدينة .

من كل ما سبق ذكره فيما يتعلق بأبنية العهود العباسية الأولى نخلص إلى ما يلي :

قلة استعمال الحجارة في بغداد، وكثرة استعمال الطين ثم الجص والآجر علماً بأن الجص كان يستورد من المناطق المجاورة، لأن منطقة بغداد تخلو من الكلس الذي يصنع منه الجص . كما نخلص أيضاً إلى أن معظم البناء في بغداد اعتمد اعتماداً كلياً على المواد المتوفرة محلياً وسهولة الحصول عليها، وهذا مما سهّل انتشار البناء بشكل واسع، فمثلا كانت قصور الخلفاء الأوليين وأولادهم تقع إما على دجلة وإما على الأنهار الصغيرة الأخرى، والتي كانت تفيد في تجميل القصور بكلفة قليلة فضلا عن تزويدها بما تحتاجه من ماء الشرب والغسيل وإرواء الحدائق والبساتين .

---

(١)المقدسي (ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م) : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن البناء البشاري .

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (بيروت :دار إحياء التراث العربي ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م)ص١٠٧.

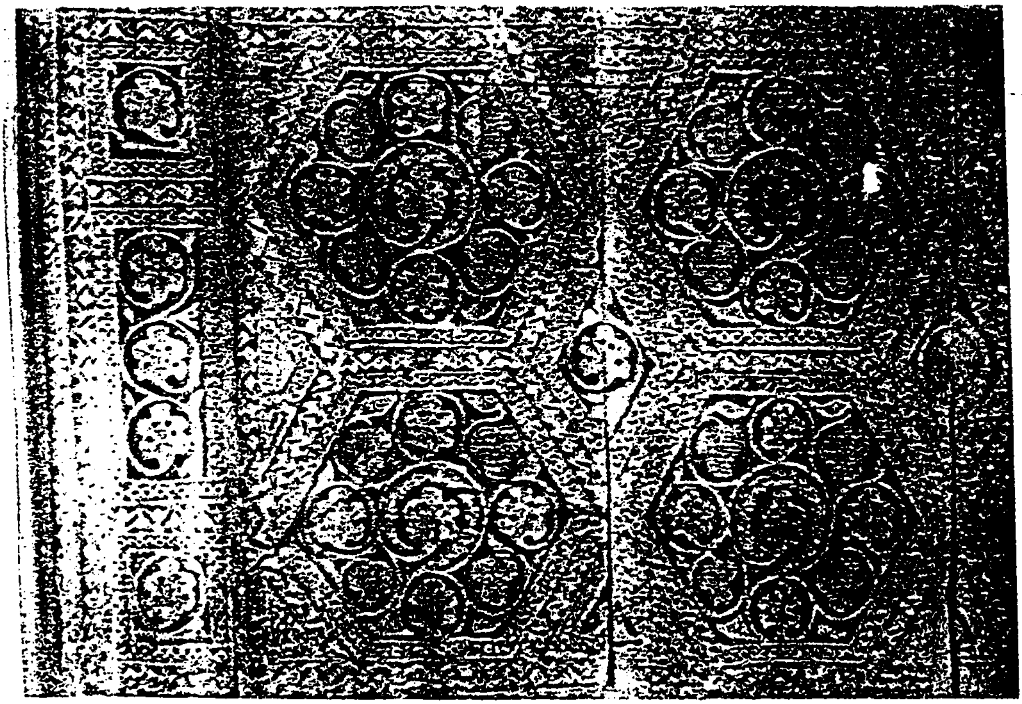
ملخص بأهم المنشآت العمرانية في بغداد خلال المدة

(٢٢١-٥٣٩هـ/٨٣٦-١١٤٣م)

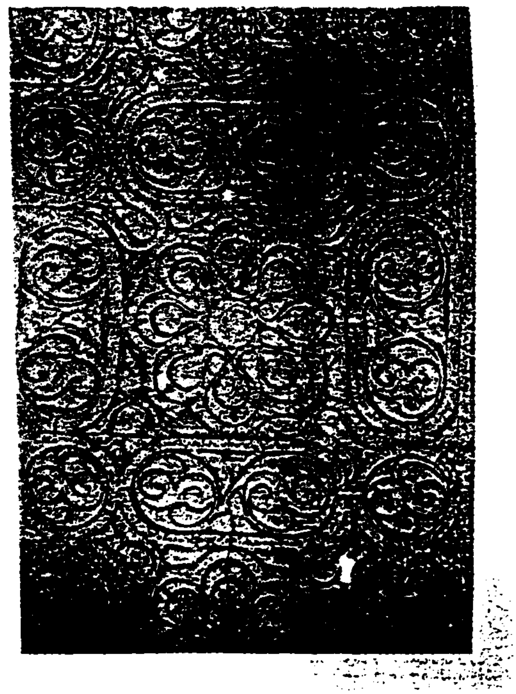
م	الخليفة. الأمير .الوزير	سنوات الحكم	المنشآت العمرانية	تاريخ البناء
١	المعتصم بالله	(٢١٨ - ٢٢٧هـ / ٨٣٣- ٨٤٢م)	*مدينة سامراء	٢٢١هـ/ ٨٣٦م
٢	المتوكل على الله	(٢٣٢- ٢٤٧هـ/٨٤٧ – ٨٦١م)	*الحيري والكمين *مدينة الجعفرية (الجعفري) *لؤلؤة	أثناء فترة حكمه ٢٤٥هـ/٨٥٩م ٢٤٥هـ/٨٥٩م
٣	المعتمد على الله	(٢٥٦- ٢٧٩هـ/ ٨٧٠-٨٩٢م)	*استقر في القصر الحسيني مع إجراء بعض الإصلاحات	أثناء فترة حكمه
٤	المعتضد بالله	(٢٧٩- ٢٨٩هـ / ٨٩٢- ٩٠٢م)	*إضافات على القصر الحسيني * قصر الثريا *قصر الفردوس (الخلد) * عمارة البحيرة * أساسات قصر التاج * بناء مطامير في قصر الحسيني * أبنية ملكية فخمة في منطقة براز الروز	أثناء فترة حكمه أثناء فترة حكمه أثناء فترة حكمه أثناء فترة حكمه أثناء فترة حكمه أثناء فترة حكمه أثناء فترة حكمه
٥	المكتفي بالله	(٢٨٩- ٢٩٥هـ/٩٠٢- ٩٠٨م)	* تكملة قصر التاج * المسجد الجامع في الجانب الشرقي من القصر الحسني (جامع الخليفة)	أثناء فترة حكمه
٦	المطيع بالله	(٣٣٤- ٣٦٢هـ/٩٤٦- ٩٧٤م)	*دار الطولويس * الدار المربعة *الدار المثمنة	أثناء فترة حكمه أثناء الفترة حكمه أثناء الفترة حكمه

م	الخليفة. الأمير .الوزير	سنوات الحكم	المنشآت العمرانية	تاريخ البناء
٧	أبو القاسم على بن أفلح عاشر أيام الخليفة المسترشد	(٥١٢- ٥٢٩هـ /١١١٨-١١٣٥م)	*دار أبي القاسم على بن أفلح وكانت الدار تتألف من قصور كثيرة وقد شيدت على الطراز الحيري والكمين	أثناء فترة المسترشد
٨	محمد بن أحمد بن جردة عاش ايام الخليفة القائم بامر الله	(٤٤٢- ٤٦٧هـ /١٠٣٧- ١٠٧٥م)	*دار ابن جردة	أثناء فترة القائم بأمر الله
٩	الوزير ابن مقلة استوزرة كل من المقتدر القاهر الراضي بالله	(٢٩٥- ٣٢٠هـ/٩٠٨- ٩٣٢م) (٣٢٠-٣٢٢هـ /٩٣٢-٩٣٤م) (٣٢٢-٣٢٩هـ /٩٣٤-٩٤٠م)	*دار الوزير بن مقلة	أثناء فترة كل من المقتدر ، القاهر الراضي بالله
٠	معز الدولة البويهي	(٣٢٠-٣٥٦هـ/ ٩٣٢-٩٦٧م)	*مشهد الإمامين موسى الكاظم ، محمد الجواد * الدار المعزية	(٣٣٦هـ/٩٤٧م) (٣٥٠هـ/١٠٥٨/)
١	أبو نصر الملك الرحيم	(٤٤٠-٤٤٧هـ /١٠٤٨-١٠٥٥م)	* تجديد مشهد الامامين *مسجد ومئذنة	(٤٥٠هـ/١٠٥٨م)
٢	أبو كاليجار	(٤١٥-٤٤٧هـ/١٠٢٤-١٠٥٥م)	*سور مدينة شيرار	(٤٤٠هـ/١٠٤٨م)
٣	عضد الدولة ابوشجاع	(٣٦٧-٣٧٢هـ/٩٧٨-٩٨٣م)	*تعمير مدينة بغداد *مساجد ميدينة بغداد *تجديد ما دثر الانهار *المارستان العضدي	أثناء فترة عضد الدولة أثناء فترة عضد الدولة أثناء فترة عضد الدولة (٣٦٩هـ/٩٧٩م)

زخارف جصية من سامراء



أ- زخارف سامراء (الطراز الأول)



ب – زخارف سامراء (الطراز الثاني)



ـ زخارف سامراء (الطراز الثالث)

* خالد الأعظمي ، الزخارف الجدارية ، ص ١٩٩.

الخاتمة :

بعد هذا العرض لقصور بغداد ودورها في العصر العباسي خلال المدة (٢٢١ـــ٥٣٩هـــ/٨٣٦ـــ١١٤٣م) يمكننا ملاحظة ما يلي :

أولاً : التأثير الفني الفارسي في المنشآت العمرانية العباسية، حيث اقتبس المسلمون منها ما يلائم دينهم وما يناسب ذوقهم الفني، وقد بدا واضحاً ما قام به الخلفاء والأمراء والوزراء وكبار رجال الدولة، ببناء القصور الضخمة المحلاة بالرسوم والزخارف من الداخل والخارج، وعليها صور من الجص المجسم .

ثانياً : مساهمة الفنانين ذوي الخبرة في مجال المنشآت العمرانية بقسط كبير في صناعة الآجر، والتفنن في زخرفتها ذلك لتلبية متطلبات مجتمعهم منطلقين من تقاليدهم الفنية، وخبراتهم المهنية مع رغباتهم في التطوير والتجديد وابتكار كل ما هو جديد وجميل وجذاب .

ثالـــثاً : مســـاهمة الصـــناع المهرة في استخدام العناصر النباتية المختلفة في الزخارف البغدادية، مثل عناصر العنب بأوراقه وعناقيده، رغم انقطاع مراحل الـــتطور لفتـــرة طـــويلة، بعد تأسيس بغداد، علماً بأن هذه العناصر كانت موجودة في سامراء عندما كانت عاصمة للخلافة لفترة نصف قرن تقريباً .

رابعاً: ازدهار الحركة العمرانية في بغداد عندما نقل الخليفة العباسي المعتضد (٢٧٩ـــ٢٨٩هـــ/٨٩٢ـــ٩٠٢م) العـــاصمة من ســـامراء إلى بغـــداد،حيث أنشـــئت القصـــور الجميلة بأشكالها، من قبل الخلفاء، الذين تعاقبوا في الحكم، ومـــن قـــبل البويهـــيين وغيرهم معلنة بميلاد جديد، بدأت ملامحه تتخذ طابعاً إسلامياً .

خامساً: اختيار المواقع المناسبة،لإقامة القصور للخلفاء وأولادهم في هذه الفترة على أنهار صغيرة، وخاصة على نهر دجلة، حيث إن هذه الأنهار كانت لها فوائد كثيرة مثل : تجميل القصور، مياه للشرب والغسيل وإرواء الحدائق والبساتين بالإضافة إلى التكاليف القليلة .

سادساً: الاعتماد الكلي في بناء القصور على المواد المتوفرة محلياً مثل اللبن المعمول من الطين والآجر ، حيث ساهم الفنانون المهرة بقسط كبير في صناعة الآجر والتفنن في زخرفته، أما المواد التي لم تكن متوفرة، مثل الأحجار،فكانت تستورد من المناطق القريبة جداً المجاورة وذلك بسبب قلة التكاليف .

سابعاً : وبالرغم من معاناة الدولة العباسية من حروب وفتن واضطرابات، فإن الفن المعماري كان كالإيمان، بمثابة قلعة منيعة صامدة تنتصر على الفناء والعدم، وهذا مما جعل المؤرخون يهتمون كثيراً بالفن المعماري الإسلامي، واعتباره ميداناً من ميادين الحضارة الإسلامية .

أولاً: قائمة المصادر والمراجع العربية والأجنبية :

١- ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) : عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري.

الكامل في التاريخ (بيروت : دار صادر ١٩٧٩م).

٢- ابن تغري بردي (ت٨٧٤ هـ/١٤٦٩م) : أبو المحاسن جمال الدين يوسف.

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (القاهرة : ١٣٤٨-١٣٧٥هـ/ ١٩٢٩-١٩٥٥م) .

٣- ابن جبير (ت ٦١٤هـ/١٢١٧م) : أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي.

رحلة ابن جبير (بيروت : دار صادر للطباعة والنشر ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م).

٤- ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ/١٢٠١م) : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد

المنتظم في تاريخ الملوك والامم . تحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا (بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م).

مناقب بغداد، عني بتصحيحه وتعليق هوامشه ونشره محمد بهجة البغدادي (بغداد : مطبعة دار السلام ١٣٤٢هـ).

٥- ابن كثير (ت٧٧٤ هـ/١٣٧٢م) : عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر .

البداية والنهاية (بيروت : دار الكتب العلمية ١٤١٨هـ/١٩٩٧م).

٦- الآلوسي (ت١٣٤١ هـ/١٩٢٤م) : محمود شكري .

أخبار بغداد وما جاورها من البلاد (بغداد : مخطوطة موجودة في المكتبة المركزية تحت رقم (٢٣٤٥٩٠) .

٧- البغدادي (ت ٤٦٣هـ/١٠٧١م) : أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي .

تاريخ بغداد أو مدينة السلام . المجلد الأول (بيروت : دار الكتاب العربي لا.ت).

٨- الجاحظ (ت ٢٥٤هـ/٨٦٨م) : أبو عثمان عمرو بن بحر.

الحيوان .تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون .(بيروت :دار الجبل ١٩٩٢م).

٩- الخوارزمي (ت ٣٨٧هـ/٩٩٧م) : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف .

مفاتيح العلوم (القاهرة : لا . ت).

١٠- الروذ راوري : الوزير أبو شجاع محمد بن الحسين .

ذيل كتاب تجارب الامم، جـ٣ (يحتوي على حوادث (٢٥)سنة من ٣٦٩ـ ٣٩٣هـ، (القاهرة : دار الكتاب الإسلامي لا.ت).

١١- السيوطي (ت ٩١١هـ/١٤٩٥م) : جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر .

تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (القاهرة : ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م).

١٢- الشابشتي (ت ٣٨٨هـ/٩٩٨م) : أبو الحسن علي بن محمد.

الديارات، تحقيق كوركيس عواد (بغداد : ١٩٦٦م).

١٣- الصابي (ت٤٤٨ هـ/١٠٥٦) : أبو الحسن علي بن محمد .

تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج (القاهرة : دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٨م).

١٤- الطبري (٣١٠هـ/٩٢٢م) : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري .

تاريخ الأمم والملوك (بيروت : مطبعة خياط لا . ت).

١٥- مسكويه (ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م) : أبو علي أحمد بن محمد .

تجارب الأمم، جـ٦ (القاهرة مطبعة شركة التمدن الإسلامي ١٩١٥م).

١٦- المسعودي (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م) : أبو الحسن علي بن الحسين .

مروج الذهب ومعادن الجوهر، المجلد الثاني (بيروت : دار الكتاب العربي اللبناني ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).

١٧- المقدسي (ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م) : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن البناء البشاري .

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم . (بيروت : دار إحياء التراث العربي ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م) .

١٨- هبة الله الحلي (عاش في النصف الثاني من القرن الخامس والنصف الأول من القرن السادس الهجري).

المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية، جـ٢، تحقيق صالح درادكة، محمد خريسات (عمان : مكتبة الرسالة الحديثة ١٩٨٤م) .

١٩- ياقوت (ت ٦٢٦هـ/١٢٩٩م) : شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي

معجم البلدان، جـ٢، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي (بيروت : دار الكتب العلمية ١٤١٠هـ/١٩٩٠م)

ثانياً : قائمة المراجع العربية الحديثة والمترجمة:

١- **آدم متز**، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، جزآن، نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة، أعد فهارسه رفعت البدراوي القاهرة : مكتبة الخانجي (بيروت دار الكتاب العربي ١٩٦٧م) .

٢- **أحمد عيسى**، تاريخ البيمارستانات في الإسلام (دمشق : المطبعة الهاشمية، ١٩٣٩م) .

٣- **حسين مؤنس**، ابن بطوطة ورحلاته (تحقيق ودراسة وتحليل) القاهرة : دار المعارف، ١٩٨٠م) .

٤- **خالد خليل حمودي الأعظمي**، الزخارف الجدارية في آثار بغداد (بغداد دار الرشيد للنشر ١٩٨٠م)

٥- **شاكر هادي شكر**، الحيوان في الأدب العربي (بيروت : مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب ١٩٨٥م) .

٦- **صالح أحمد العلي**، معالم بغداد الإدارية والعمرانية (بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة ١٩٨٨م) .

٧- **عبد الكريم عبده حتاملة**، خلافة المعتضد بالله، أطروحة دكتوراه حلقة ثالثة (بيروت : جامعة القديس يوسف ١٩٨٢م) .

٨- **فالتر هانتس**، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة الدكتور كامل العسلي (عمان : الجامعة الأردنية) .

٩- **كوكب ديب دياب**، قاموس الحيوان (عربي عربي) (طرابلس : جروس برس ١٩٩٥م) .

١٠- **كي لسترينج** : بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس، كوركيس عواد (بيروت : مؤسسة الرسالة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) .

١١- **ميخائيل عواد،** صور مشرقة من حضارة بغداد في العصر العباسي . (بغداد : دار الرشيد للنشر ١٩٨١م).

ثالثاً : المجلات:

١- **كوركيس عواد،** الدار المعزية من أشهر مباني بغداد في القرن الرابع للهجرة، مجلة سومر (١٠)، ج٢، (بغداد : ١٩٥٤م) .